

الريفيون الفلسطينيون

في حيفا

١٩٣٠-١٩٤٨

عوني فارس**

تسلط هذه الدراسة الضوء على جوانب من حياة الريفيين الفلسطينيين في حيفا إبان فترة الانتداب البريطاني. وتبين أوجه مشاركتهم في سوق العمل الحيفاوي. وتتناول انعكاس حياة المدينة بتنوعها وانفتاحها على سلوكهم الاجتماعي ووعيهم الفكري وموقفهم السياسي. وتكشف عن كيفية استجابتهم للأحداث الدامية التي عصفت بالمدينة بعيد قرار التقسيم في تشرين الثاني عام ١٩٤٧ وحتى سقوطها بيد الصهاينة في نيسان عام ١٩٤٨. وتعتمد الدراسة على سلسلة من المقابلات الشفوية مع عدد من الريفيين الفلسطينيين ممن سكنوا حيفا في تلك الفترة. بالإضافة إلى عدد من الوثائق والدراسات والأبحاث.^١

وصول الريفيين الفلسطينيين إلى حيفا

وصل آلاف الفلسطينيين إلى حيفا إبان الانتداب البريطاني قادمين من مختلف أنحاء فلسطين. كما استوطنها عدد كبير من المهاجرين الصهاينة الأمر الذي أدى إلى زيادة كبيرة في عدد سكانها حتى وصل عام ١٩٣٩ حوالي ١٠٥٩٠٠ نسمة.^١

وكان من بين القادمين ريفيون من مختلف أنحاء فلسطين. منهم ريفيون من بلدة سلواد قضاء رام الله.^٢ وصلوا إليها بأعداد كبيرة منذ عشرينيات القرن الماضي.^٣ وتقدر الروايات الشفوية بأن ثلث سكان سلواد عاشوا في حيفا في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي.^٤ وقد ساهمت العديد من العوامل في دفع الريفيين للقدوم إلى حيفا. يأتي في مقدمتها عاملان رئيسان هما: مستوى التطور الذي شهدته المدينة منذ أواخر العهد العثماني وإبان الانتداب البريطاني في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والثقافية والتعليمية. وما واكب ذلك من حاجتها الماسة للأيدي العاملة الرخيصة.^٥

والحالة الاقتصادية الصعبة التي واجهها الريفيون في بلداتهم وقراهم: بفعل سياسة بريطانيا الرامية لفصل الفلاح عن أرضه- مقدمة لبيعها للحركة الصهيونية- وأرهاقه بالديون ودفعه للتحويل إلى عامل مأجور على هامش العملية الاقتصادية في المدن الفلسطينية الكبرى مثل حيفا وبافا.^٦

الريفيون وسوق العمل الحيفاوي

ارتبطت نشاطات الريفيين الاقتصادية داخل حيفا بالقطاعات البسيطة. فقد كان أغلبهم بلا خبرة. حيث قضاوا جل حياتهم في الحقول. لذا اعتبروا عمالا غير مهرة. وانضموا إلى المراتب الدنيا من الأعمال. فاستوعبوا في مرافق البلدية. وأصبحوا عمالا في تعبيد وتنظيف الشوارع. وإقامة الأسوار. والعناية بالحدائق العامة.

وعمل قسم كبير منهم في المعسكرات البريطانية المنتشرة حول حيفا. فكانوا عتالين وسائقي سيارات بريطانية تنقل البنزين والمعدات

* تأتي هذه الدراسة في إطار الإهتمام بحياة الريفيين في حيفا قبل عام ١٩٤٨. وقد سبقها دراستان نشرتا في مجلة حوليات القدس. تحدثت إحداهما عن حياة الريفيين في حيفا. في حين تناولت الثانية قصة الدفاع عنها إبان أحداث النكبة. وتطرقت لمشاركة الريفيين في حامية المدينة. للمزيد من المعلومات حول الموضوع . انظر: فارس. عوني. أدبية الحلق حياة ريفيات فلسطينيات في حيفا ١٩٣٠-١٩٤٨. حوليات القدس. العدد ١٠. شتاء ٢٠١٠. ص ٧٥-٦٦. وانظر ايضا: فارس. عوني. الدفاع عن حيفا في ذاكرة عباس الحاج صالح (١٩٢٨-٢٠٠٩). حوليات القدس. العدد ١١. صيف ٢٠١١. ص ٤٣-٥٢. وأود الإشارة إلى أن اختيار الأعوام (١٩٣٠-١٩٤٨) كما جاء في عنوان هذه الدراسة تم بناء على الروايات الشفوية التي اعتمدت عليها لإتمام الدراسة. ولا يعني ذلك أن الريفيين الفلسطينيين لم يصلوا حيفا قبل هذا التاريخ.

** باحث في التاريخ الفلسطيني الحديث والمعاصر.



موسى عبد المجيد مشعل (سلواد) وزوجته خزنة محمد أحمد (عينابوس) مع أولادهما في حيفا.



الشهيد سعد الحاج صالح.

غير الحربية إلى الميناء أو المواقع الإنجليزية الأخرى. كما عملوا في ورش تصليح السيارات. ومواقع تجميع الخردة. في حين اشتغل آخرون عتالة في الميناء. واختار قسم منهم الانضمام إلى قطاع الأعمال التجارية الصغيرة. فأصبحوا باعة متجولين. وتمكن قليل منهم من افتتاح دكاكين خضرة ومواد تموينية وأسماك وغيرها.

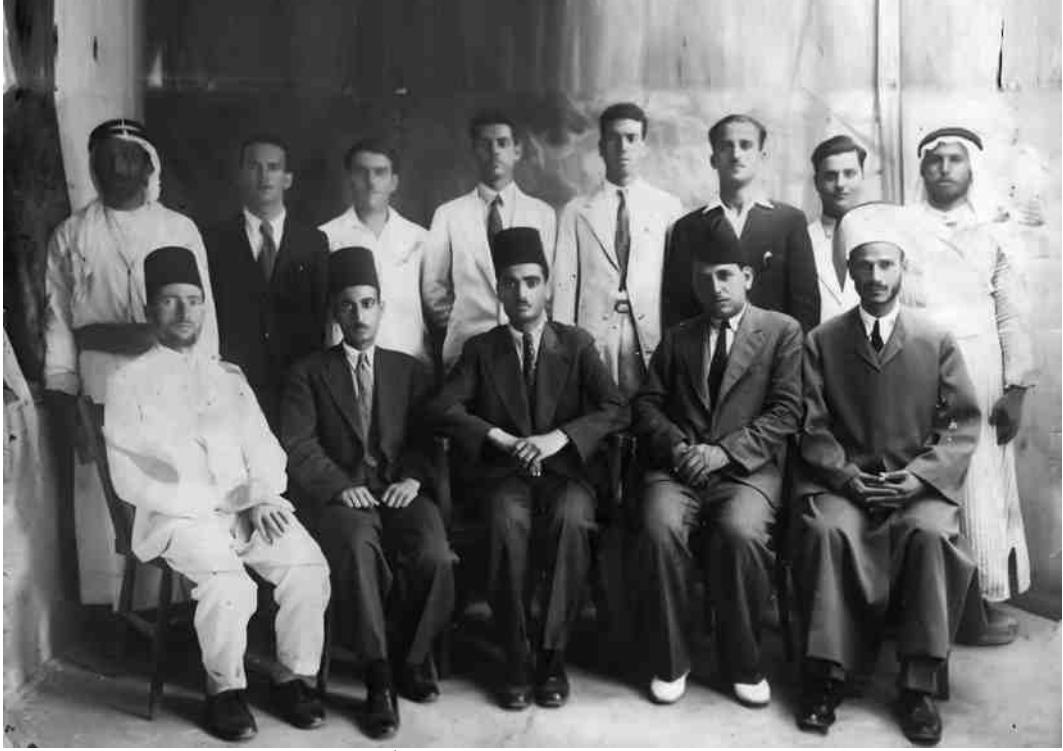
ظلت الغالبية العظمى من الريفيين - كما في بقية المدن الفلسطينية الكبرى - على هامش التطور الاقتصادي. ولم يتح لها الواقع الجديد الفرصة الكافية للتحويل إلى «طبقة عمالية» نشطة. تطور الاقتصاد وتشكل جزءا من التفاعل الثقافي والاجتماعي في المدينة.¹¹

ولعل عدم قدرة الريفي على مواجهة الظروف الاقتصادية الصعبة التي حدثت بعد النكبة فاضطرته للهجرة مجددا بحثا عن لقمة العيش.¹² دليل على التأثير الاقتصادي المحدود لتجربة الريفيين في حيفا.

ولتوضيح صورة المشاركة الريفية في سوق العمل الحيفاوي نورد بعضا من الشهادات لريفيين عاشوا في حيفا في تلك المرحلة وشكلوا جزءا من الواقع الاقتصادي فيها. يروي شحادة أبو نصار عن تلك المرحلة «عملت في شركة أستيل. وهذه كانت شركة نقليات. وبعدها في كامب في سانت لوكس. كنت تابعاً لشريف أبو عبد الإله. كان معنا عمال هنود وباكستان. كنا نعمل شنط حديد للضباط وللجيش. وقتها كان أجري ٣٥ قرش يوميا. في ناس بشتغلوا بأشياء ثانية. ناس كثير اشتغلوا في الخضرة مثل الحاج صقر وموسى أبو العبدة ومصطفى أبو حرب ومفضي وموسى أبو حرب. وفي ناس اشتغلوا في البلدية. وكان عبد القادر أبو العز مسؤؤل عن العمال في البلدية وكان توفيق أبو الكر بيشغل مع الطواري».¹³

أمّا عبد الرحمن شمروخ فقد كانت له تجربة أخرى. حيث يقول عن تلك الفترة: «نزلت في حيفا عند أمي وأخواتي عند درج الخمرة. هناك عملت في عدة أشغال. أول شيء في الفرن الأبيض عتال وسلال كنت أخذ العجنة من دور دورهم. كنت أخذ على العجنة رغيغ ونصف أو قرش.

وبعد فترة عملت في معسكرات الجيش البريطاني في تنظيف البركسات في بيت غليم



الهيئة التدريسية في مدرسة البرج في حيفا ويظهر فيها البوابان في أقصى اليسار عبد الله محمد حسين وفي أقصى اليمين علي محمد علي.

ومحمد الحاج محمود أبو الطعم ويوسف عبد الرزاق سياغة . كان معاشي ٤٥ قرش في اليوم وكان الدوام ٨ ساعات، كان واحد مسؤول عنا من السلادة اسمه داود أبو شنارة من دار حماد وعبد الحميد أبو عبد الجليل من دار أبو العسلة وزعير من دار أبو مشعل، هذول كانوا يعرفوا انجليزي، أبو شنارة كان قبل في أمريكا. عملت بعد البنزين في منطقة حواسنة قرب بلد الشيخ علي مفرق عكا - نابلس كان في كامب سلفيج، هذا كان معسكر لمخلفات الجيش البريطاني، كان الضابط الإنجليزي يفرق العدة كل قسم لوحده، كانوا يبيعوا المخلفات عن طريق مناقصة، والعمال كانوا كثير يسرقوا المخلفات ويبيعوها للتجار، وهذا كان يتم بالاتفاق مع مدير الكامب جورج أبو فاضل^{١٤}، وتضيء شهادة محمد عبد الله أحمد مساحات جديدة على الواقع الاقتصادي الذي عاشه الريفيون في حيفا، إذ يقول: «سكنت مع عيالي في وادي النسناس وعند وادي روشيبيا وفي الهادار شارع لبن تين، كان اليهود عرب^{١٥} وتعاملنا

وفي كامب في الطيرة، كان أجري في اليوم ٣٥ قرش وبعد فترة نص دينار، وقتها كان مسؤول الكامب خليل البحوص»^{١٣}. وتعطي شهادة حسن مصطفى محمد قاسم تفاصيل إضافية عن أنشطة الريفيين الاقتصادية وظروف عملهم، إذ يقول: «لما وصلت إلى حيفا رحيت إلى مكتب عمل في وادي النسناس اسمه مكتب غوزي .. قدمت الهوية لمكتب غوزي طبعاً لم أعمل من المرة الأولى، أول عمل عملته في كامب بيت غليم، وهذه منطقة يهودية فيها الآن مستشفى حيفا وهي قريبة من البحر، في ناس كثير عملوا هناك من بلدنا منهم حماد محمود سياغة وعبد الله عبد الجليل مشعل، كنا نقل قطع سيارات مستعملة بعضها كان مدمر من ألمانيا، العمل كان مريح لا شدة ولا أوامر وشغل راحة، كان البريطانيون معنيين بفتح شغل للناس، بعدها اشتغلت في كامب البنزين في سانت لويس كان الشغل تحميل وتنزيل بنزين .. كان يعمل معي عواد محمد عواد وعبد الغني عبد الغني عبد القادر وعبد الله أبو الزيدانية

معهم عادي ونذهب معهم على السينما وبعدها سكننا عند دار الأسود في الجبل.

عملت في مسمكة عند أديب الحاج إبراهيم ب١٥ جنيه فلسطيني وبعدها مسمكة رفعت عابدي. وبعدها في معسكرات الجيش في بيت غليم. وبعدها في الطيرة في كامب مع سعيد أبو الشيخ وجميل أبو عطشنة. عملت بعدها في البلدية بواسطة من عبد القادر أبو العز. اشتغلت في ترفيت الشوارع وكنت أنظم الشوارع. وكان عملي يعمل مشاكل مع اليهود أثناء تنظيمي للسير. ذهبت لمخفر الشرطة والمحكمة وكان الحاكم أحمد بيك الخليلي وحكم علينا بغرامة ٩ دنانير. وأنا بشتغل شعرت أنني مظلوم وما يعطوني حقني لما اشتغلت وقتها ٣ أيام في حفر الخنادق أيام الهجوم الألماني على حيفا. لهالسبب سجلت في جمعية العمال. خالي عبد الرحمن الفقير كان يعمل في الحسبة له بسطات هناك كان له دار في حارة الكنائس ملك وباعها بعدين»^{١١}.

لقد انعكس النشاط الاقتصادي للريفيين السلادة لما يقارب ثلاثة عقود. كما وُصف أعلاه. في تمكن بعضهم من تحقيق أمانهم في الزواج وإسكان أسرهم في بيوت بنوها بما ادخروه من أعمالهم في حيفا. عبّر شكل بعضها عن حس اقتصادي اكتسبوه من تجربتهم السابقة. إذ جعل بعضهم الطابق الأول عبارة عن محال تجارية قبالة الشارع الرئيس في حين اتخذ من الطابق الثاني مسكنا.

وتمكن قليلون من افتتاح أعمال تجارية جديدة مثل محلات بيع بالجملة أو الاستثمار في شراء الأراضي أو توسيع تربية المواشي أو شراء باص لنقل الركاب أو سيارة شحن وما شابه. لكن اللافت أن العدد الأكبر من الريفيين لم تسعفه الحال لأي نوع من الاستثمار أو تحسين الأوضاع فظل في عوز شديد. ولعل ذلك عائد إلى كون الريفيين عموما بقوا على هامش العملية الاقتصادية في حيفا. كما لم تسمح لهم الأوضاع الاقتصادية التي خلفتها سنوات الانتداب من الانتفاع بأرضهم ومحاصيلهم الزراعية بشكل جيد.

ولعل حياة الاغتراب في حيفا قد ساهمت بشكل أو بآخر في اتخاذ الريفيين السلادة قرارا للبحث عن فرص اقتصادية جديدة خارج بلدتهم.

فقد سافر عدد كبير منهم أوائل خمسينيات القرن الماضي إلى الكويت في حين فضّل آخريين السفر إلى الأمريكيتين.^{١٧}

موقف الريفيين من دخول الريفيات لسوق العمل الحيفاوي

استوعب سوق العمل في حيفا بعض الريفيات. حيث عملن في جمع الحطب ونقل الماء وباعة متجولات للخضار. وبعض المنتجات الحيوانية كالحليب والبيض وغيرها.^{١٨} كما اشتغلن في بيوت الميسورين من الحيفاويين العرب والمهاجرين اليهود في أعمال التنظيف والغسيل.^{١٩}

وقد أثار عملهن. خصوصا في بيوت أثرياء حيفا. نقاشا صاخبا في أوساط الريفيين من بلدة سلواد. وتؤكد أغلب الروايات الشفوية على عدم قبول الريفيين لهذا النوع من الأعمال. خصوصا وأن دوافعه تعود إلى ما دعو به «كسل» بعض الرجال واعتمادهم على زوجاتهم في إعالة أسرهم في مخالفة صريحة لقيم الريف.^{٢٠} في حين اعتبرت بعض الريفيات أن عملهن نابع من الحاجة الاقتصادية. إما بسبب كثرة عيالهن أو أن أزواجهن كانوا من كبار السن الذين لا يقون على العمل.^{٢١}

ولعل دعوة مجموعة من النشطاء السلادة من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين^{٢٢} إلى القضاء على هذه الظاهرة^{٢٣} باعتبارها «عملا مشينا مخزيا وعارا لا يحسى»^{٢٤} يؤكد صحة حدوث الجدل بين الريفيين حول الموضوع. ويبدو أن المجموعة عقدت عدة اجتماعات لدراسة هذه الظاهرة وقدمت اقتراحات لحلها مثل توزيع معونات مالية للأسر المحتاجة التي تضطر لدفع بناتها إلى سوق العمل.^{٢٥}

لم يكن وجه الاعتراض هنا على عمل المرأة من حيث المبدأ. فقد كانت ظاهرة عمل الريفيات في الحقول وتربية الحيوانات منتشرة في الريف الفلسطيني بشكل كبير. واقتضت أعمالهن اختلاطا بالذكور أو خروجا من المنزل في ساعات مبكرة صباحا أو متأخرة ليلا.

لكن أسبابا أخرى تتعلق بأبعاد وطنية واجتماعية دفعت إلى هذا الاعتراض. فقد كان من

الصعب على الريفيين تقبل عمل نسائهم في أوساط اجتماعية أوروبية صهيونية تحمل نمطا قيما غربيا، طالما اعترضوا عليه باعتباره غازيا يهدف إلى تدمير نسقهم الاجتماعي وقيمهم الأخلاقية، يجب مقاطعته والعمل على الخلاص منه.

وقد تجلى هذا الرفض بشكل واضح إبان مرحلة المقاطعة حيث عملت الأوساط الوطنية في حيفا على حشد الفلسطينيين. ومنهم الريفيين. وراء قرار مقاطعة البضائع الصهيونية ومنع العمل في المرافق الاقتصادية الصهيونية. وتظهر الروايات الشفوية التي جمعت من الريفيات اللواتي كن يعملن في الهادار أنهن توقفن عن العمل هناك لدواع وطنية.^{٢١} كما يمكن أن يكون للاختلاف بين قيم المدينة وقيم الريف داخل المجتمع الفلسطيني. وما أفرزه من مشاحنات ومحاولات هيمنة من كلا الجانبين في أكثر من محطة تاريخية دور في اعتراض الريفيين على هكذا نشاط.^{٢٧}

الريفيون والنشاط الثقافي والمؤسستي

تأثر الريفيون بما مثلته حيفا من ثقل ثقافي وأدبي متميز داخل المجتمع الفلسطيني، إذ انتشرت فيها المدارس والنوادي والجمعيات والمراكز الثقافية وكثرت فيها المطبوعات الفكرية الأدبية.^{٢٨} والمسارح والمقاهي.^{٢٩} وكان التأثير واضحا بشكل أكبر في الجيل الأول من الريفيين ممن ولدوا في حيفا ودرسوا في مدارسها حيث كانت تجربتهم في حيفا مقدمة لبزوغ نجمهم في الفكر والشعر والأدب مثل إحسان عباس^{٣٠} وفتح الله السلوادي^{٣١} وغيرهما.^{٣٢} ونظرا للبيئة المتدينة للريفيين فقد وجدوا ضالتهم في مساجد المدينة^{٣٣} التي لعبت دورا مهما في تشكيل وعيهم، فاعتادوا سماع دروس ومحاضرات دينية وفكرية وتربوية من مجموعة من الأزهريين المعتمدين من أمثال عز الدين القسام^{٣٤} وعبد الرحمن مراد^{٣٥} ومحمد نمر الخطيب^{٣٦} وغيرهم. في حين التحق بعضهم بالمدارس المسائية لمحو الأمية التي أشرف عليها بعض الأزهريين. كما التحقوا ببعض الجمعيات والحركات مثل جمعية الاعتصام^{٣٧} وجمعية

العمال^{٣٨} وجماعة الإخوان المسلمين.^{٣٩} وقد أصبح لهذه الجمعيات تأثير واضح على بعض القطاعات المجتمعية. حيث تجاوزت الدور التوعوي والاجتماعي فبادر بعضها بالاستعانة بأعضائها من الريفيين، إلى ممارسة أعمال ذات طابع وطني تمثلت إحداهما بمهاجمة بعض البارات والمراقص التي اعتبرت أوكارا لإسقاط الفلسطينيين والعرب في حبال بريطانيا والحركة الصهيونية.

وتشير بعض الروايات الشفوية إلى قيام محمد نمر الخطيب رئيس جمعية الاعتصام. بالإعداد لتنفيذ هجمات عليها بالزجاجات الحارقة على بعض هذه البارات.^{٤٠} وقد تقرر الهجوم على ثلاثة مرقص وهي: مرقص في الحسبة، وآخر في السنترال وسط حيفا في وسط السوق. والأخير عند البوابة الشرقية. وقد عُرف من المنفذين مجموعة من الريفيين السلوادة منهم عبد الرزاق الداروية وداود أبو الشيخ سلمان ومحمد حسن الدر ومحمد أبو ريا.^{٤١}

ويستدل من الفترة التي نُفذت فيها هذه الهجمات (النصف الثاني من أربعينيات القرن الماضي) على أنها أتت في ظل تراجع قبضة البوليس البريطاني، ومحاولة بعض القوى الفلسطينية أخذ زمام المبادرة في القرى والمدن لتنظيم شؤون الناس.^{٤٢}

كما أن تتبع شخصية المسؤولين عن الهجمات يجعلنا نعتقد أننا أمام مجموعة ممن تحركهم عواطف وطنية^{٤٣} جياشة مجبولة بطاقة اندفاع كبيرة. فقد كانت مكونة من شباب مندفعين بحكم السن وقوة الشكيمة والعاطفة الدينية والقيم الأخلاقية التي كانوا يحملونها. يقودهم شيخ أزهري معروف بوطنيته. ولكن باندفاعه وعاطفته أيضا.^{٤٤}

ولابد من الإشارة هنا إلى جوانب من انعكاس الأجواء الثقافية والفكرية في حيفا على حياة الريفيين في قراهم وبلداتهم. إذ سارع بعض النشطاء السلوادة ممن انتسبوا إلى جمعيات حيفاوية سابقا إلى تأسيس ناد للشباب أسموه نادي الإصلاح والثقافة أخذ تريخيا رسميا وذلك مباشرة بعد النكبة. وقد عُني النادي بتنشيط الحياة الثقافية والفكرية والرياضية في البلدة.^{٤٥}

الريفيون والنشاط الاجتماعي

عاش الريفيون في أحياء حيفا العربية، وتركز غالبيتهم في حيي وادي النسناس ووادي الصليب وفي المغر المنتشرة في الكرمل.^{٤٦} وتظهر الروايات الشفوية انخراط الريفيين في محيط اجتماعي حيفاوي شعبي.^{٤٧} ذابت فيه الفوارق الجغرافية والتمايزات الدينية إلى حد كبير، حيث كوّنوا صداقات مع أناس من مناطق شتى من شمال فلسطين إلى جنوبها، توطدت بحكم الجيرة وتشابه هموم الحياة اليومية والاشتراك في أماكن العمل أو الالتقاء في أماكن اللهو نفسها وقضاء أوقات الفراغ.

ولعل إقدام عدد من الريفيين المقيمين في حيفا على الزواج من خارج دائرتهم الجغرافية،^{٤٨} رغم ما عُرف في أوساطهم من قيود وضوابط اجتماعية تعيق الزواج من غريبات عن القرية أو العائلة، ووجود نماذج من المصاهرة بين السلوادة ومسيحيات من لبنان وسوريا، الأمر الذي لم يكن متعارفاً عليه سابقاً رغم أن بلدة سلوادة محاطة بعدد من القرى المسيحية،^{٤٩} ونماذج أخرى للزواج من شيعيات،^{٥٠} يدل على مقدار معقول من الانصهار في المجتمع الحيفاوي، كان قابلاً للانضاج لو قُدِّرَ للتجربة أن تأخذ مداً زمنياً أوسع. يقول حسن مصطفى قاسم عن نشاطاته الاجتماعية في حيفا في تلك الفترة: «بعد الشغل كنا نذهب إلى قهوة النصر، كانت هذه مقابله جامع النصر. بعض الناس من بلدنا كانوا يروحوا على الكابريهات وحفلات الملاكمة، وقتها كان مشهور من الملاكمين سنحاريب صليبية وأديب الدسوقي. النوادي كانت تنظم هذه الحفلات وكان في رياضيين من بلدنا يلعبوا في نوادي حيفا مثل زهدي الحلق وموسى عبد الرحمن أبو جودية وخالد محمود حسين من دار عياد هذول كانوا من الملاكمين».^{٥١}

ويروي حماد سياغة عن تلك المرحلة: «كنت مسجل في النادي الرياضي الإسلامي، كان غالبية خريجي الملاكمة منه؛ منهم بطل الشرق في الوزن الخفيف خالد محمد. كان النادي الإسلامي في سوق الشوام عند خان الدجاج. وفي المناسبات الرياضية كانت تطفو أحياناً النزعة الدينية. بطل الوزن الثقيل كان أرمني اسمه مارودو، كان يقابل بطل سوري مسلم ويلتقيان في



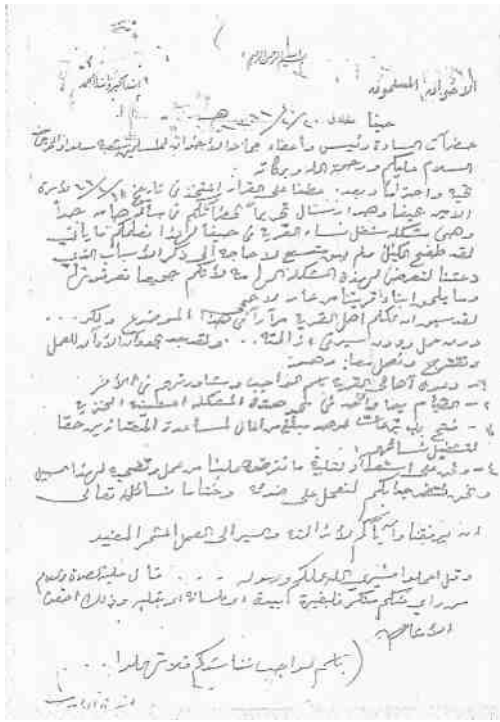
بطاقة شخصية لعبد الحميد الحاج شعبان تابعة لجمعية العمال في حيفا.



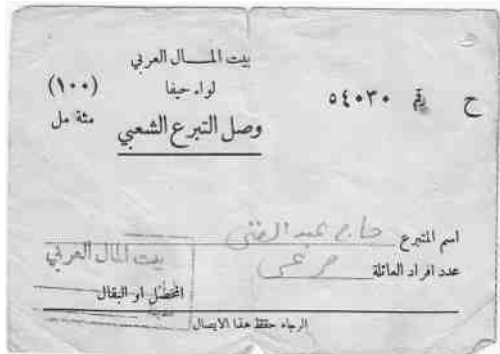
بطاقة شخصية لعبد الرزاق عبد الجليل الداروية من جمعية الاعتصام في حيفا.



بطاقة هوية لخميس حسن.



وثيقة حول موقف جماعة الإخوان في بلدة سلواد من عمل الريفيات في حيفا.



وصل تبرع بيت المال في حيفا.

حملة المقاطعة للبضائع الصهيونية ولسوق العمل الصهيوني، وكما أنَّهم نشطوا في تفعيل الهياكل المؤسسية لتنفيذ المقاطعة. كالمحكمة التي تم تأسيسها لمحاسبة المخالفين لقرارات المقاطعة، ويتردد بين الريفيين اسمي محمد نمر الخطيب والحاج خليل طه كأبرز الموجهين لحملة المقاطعة.¹¹ أمَّا المقاومة المسلحة فقد شارك الريفيون فيها من خلال الانضمام إلى حاميته،¹² وبيدو أنَّهم كانوا على علاقة مع بعض رموز العمل المقاوم مثل يونس نفاع¹³ ومحمد فخر الدين.¹⁴

ملهى الكوكب وكانت التشجيعات تطفى عليها الناحية الدينية.

بس لازم توخذ بعين الاعتبار إحنا والمسيحيين كنا أحببنا. أنا كنت ساكن في حارة الكنائس وكنا نحتفل مع المسيحيين في الأعياد في عيد مار الياس كنا نسويه عيد الخضر. هذا العيد من الأعياد التي أوجدها صلاح الدين كان المسلمون والمسيحيون يخرجون في تجمع واحد. كانت حفلة سنحاريب صليبة مع البطل المصري محمد إبراهيم في ملاعب الموارس هذه أرض غرب حيفا. أذكر أن عبد الغني عبد اللطيف ترك مكانه وحضر الحفل وكان أكثر انفعالا وتشجيعا واقترب من حلبة الملاكمة وقتها هزم سنحاريب رغم أنه كان أكثر كفاءة ومقدرة من حيث الجسم واللياقة»¹⁵.

الريفيون والمشاركة في الدفاع عن حيفا

شارك الريفيون في الدفاع عن حيفا، وانضم بعضهم لحاميته.¹⁶ وقد تأثر التحاقهم بالمقاومة وطبيعة أدائهم بعدة عوامل، منها الهجمات التي نفذتها العصابات الصهيونية على مواقع عربية في حيفا أمام سماع وبصر سكانها حيث أوقعت عددا من الضحايا.¹⁷ وتأثرهم بشخصيتي محمد نمر الخطيب والحاج أمين الحسيني، إذ كان الأول معروفا لديهم منذ بداية ثلاثينيات القرن الماضي حينما كان طالبا في الأزهر¹⁸ وقد جذبهم إليه نزعتهم الصوفية¹⁹ ووطنيتهم وعمله الميداني.²⁰ وكان الثاني زعيمهم الوطني الملهم، الذي أرسل عددا من أتباعه للمشاركة في الدفاع عن حيفا. لكنَّهم كانوا على طرفي نقيض مع الزعيم الحيفاوي رشيد الحاج إبراهيم،²¹ الأمر الذي أربك الحامية وأضعف موقفها وساهم في خسارة الفلسطينيين للمدينة.²² وأخيرا تجاربهم السابقة في المقاومة داخل حيفا إبان الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩.²³ يمكن تقسيم مشاركة الريفيين في المقاومة في حيفا إلى مرحلتين رئيسيتين. هما: فرض المقاطعة للبضائع الصهيونية ومرحلة المقاومة المسلحة: حيث تشير شهادات الكثير من الريفيين أنَّهم نشطوا في تنفيذ

استشهاد وديع فتوحة وسعد صالح

أما عن استشهاد سعد صالح فنورد هنا ما رواه صاحبه حسن مصطفى حامد عن الحادثة: «كان لي صاحب اسمه سعد صالح. هذا كان وطني. يوم من الأيام إجا من السوق وقال لي اشترت مسدس ورائي المسدس وكان مشترته من ماله الخاص ونحن في الغرفة وحكينا عن كيفية عمل المسدس ولعبنا فيه شوي. والله بقيت بدّي أقتله ونحن بنجرب فيه لولا عناية الله.

سعد انتظم مع الجهاد المقدس وكان متزوج وله بنتين وولد. كان سعد يعمل في مطحنة الرز مملوكة للسراكيي. وهذا كان سوري الأصل. كانت هذه شركة كبيرة وفيها شفتات. كان الشهيد سعد مستأجر في وادي النسناس. اتزوج بنت الحاج صالح أبو شقاف اخت خميس شقاف. كان عمره لما استشهد حوالي ٣٠ سنة. كان سعد صلوي. وكان يتردد على جامع النصر. هو حاول أن ينظمني في الجهاد المقدس كنت مديون متزوج جديد. في فترة الحرب شفت سعد مسلح ببندقية ومسدس وودعني الله يرحه قبل دار الحاج ادريس في الوسطية وقال لي أنا ذاهب للدفاع عن حيفا.

استشهد الله يرحمه وكان حامل ببندقية وجاءت رصاصة في مكان القنبلة على خصره. جاء خبر استشهاده كان أخو مصطفى وصالح بركات عندهم محل جاج ورا جامع النصر مقابل تمثال فيصل. كان عندهم تلفون اتصلوا على رام الله ومنها أتى الخبر. تجمع الناس في جامع الراس وصلى على الشهيد الشيخ صالح ودفن العصر في مقبرة الشهداء كانت عبارة عن ساحة فراغ وأول من دفن فيها الشهيد وديع محمود حسين أبو فتوحة وبعده سعد»^{١٨}.

الرحيل

بدأت الاعتداءات الصهيونية على الأحياء العربية في الثامن من كانون الأول عام ١٩٤٧ بإلقاء الصهاينة قنبلة في شارع هاشومير^{١٩} وقد كانت حصيلة هجمات ذلك اليوم عشرين شهيدا^{٢٠} ثم توالى الهجمات في أكثر من منطقة وحي وشارع مثل درج شكري وشاع بيلو وحي الحليصة وهدار

تمحورت صورة المشاركة الريفية في أعمال المقاومة في أربعة ملامح رئيسية. أولها: أن غالبية الريفيين كانوا جنودا في حامية المدينة. ويمكن أن يكونوا قد شكلوا أغلب أفرادها. وثانيها: أنهم كانوا الأكثر اندفاعا وأبدوا شجاعة متناهية في القتال. وثالثها: أنّ بعضهم افتقد لعنصر الانضباط وتنفيذ أوامر القادة الميدانيين: مما أحدث خلافا في عمل الحامية. ورابعها: أن الريفيين عانوا من فقدان العنصر القيادي الموجه. خصوصا في الأيام الأكثر صعوبة إبان المواجهات العسكرية.

تمحورنا الشهداءات الشفوية حول المقاومين وديع فتوحة وسعد صالح ودورهما في الدفاع عن حيفا وقصة استشهادهما صورة عن طبيعة المشاركة الريفية في المقاومة. كان وديع فتوحة شابا شجاعا ومخلصا. عمل مع داود أبو الشيخ سلمان في حامية دار المفتي^{٢١}. وقد كان يربط فيها ليلا. وقد روى كثيرون عنه مواقف بطولية في تنفيذ بعض الهجمات على المواقع الصهيونية. لكنّه كان مندفعاً. تأخذه الحمية والعاطفة. إذ كان يطلق النار على المواقع اليهودية المجاورة لدار المفتي. مكان مرابطته ليلا. خصوصا للرد على نار العدو حتى حين تكون الأوامر بعدم اطلاق النار.

أغتيل وديع على يد الإنجليز عند الفرن الأبيض أثناء قيامه بإلقاء قنبلة على باص يقل صهاينة^{٢٢}.

نقل جثمان الشهيد إلى مستشفى بيت غاليم في حيفا، ومنها إلى بلدته سلواد ليواري الثرى في مقبرة الشهداء. وقد كان بصحبة الشهيد عدد من المقاتلين منهم الحاج داود أبو الشيخ سلمان وعبد الحليم مصطفى أبو هيجر اللذين كانا مسلحين. وقد تمكنا من اجتياز عدد من الحواجز للهاغاناة.

وصل الجثمان إلى البلد. واستقبله الأهالي بالتكبير والزغاريد. وتجمع الناس وحملوا الجثمان إلى مقبرة الشهداء. وهناك ووري جثمانه الطاهر الثرى. وخطب في الناس كل من المجاهد محمد عبد العزيز أبو ريا والشيخ صالح السلوادي. وترجم الناس على الشهيد وعقدوا النية للمضي على دربه^{٢٣}.

الكرمل وشوارع اليرموك وشوارع حسان وغيرها.^{٧١}
وبدأ الريفيون بالرحيل بعد تكرار الهجمات الصهيونية. وقد عجل واقع الفوضى الذي عمّ حيفا العربية بعد قرار التقسيم في اتخاذ الريفيين قرارهم بالرحيل. وتفيد الروايات الشفوية بأن الريفيين بدؤوا بالرحيل نساءهم وأولادهم أولاً. وقد تم نقلهم بـ«تركات» بصحبة أغراضهم التي كانت في الغالب أغراضاً منزلية ومواد تموينية. ويبدو أن بعضهم تمكن من بيع ممتلكاته قبل الرحيل.^{٧٢} في حين تمكن آخرون من الاستيلاء على سيارات تابعة للجيش البريطاني وفيها مواد تموينية. أحضروها معهم إلى بلداتهم وقراهم. ويتناقل الأهالي في سلواد حادثتين بهذا الخصوص تم فيها الاستيلاء على سيارتين إحداهما محملة بالشاي وأخرى بمواد تموينية ونقلهما إلى سلواد.^{٧٣}
ولم يستمر الأمر طويلاً. إذ رحل جميع الريفيين. ولم يبق منهم أحد سوى مجموعة بسيطة من المقاتلين. رحلت هي الأخرى في الأيام الأخيرة.^{٧٤}

بلغ عام ١٩٤٥ حوالي ١٩١٠ نسمة. للمزيد من المعلومات حول عدد سكان سلواد إبان الانتداب البريطاني. انظر: الموسوعة الفلسطينية. المجلد الثاني (ج.ش). دمشق. هيئة الموسوعة الفلسطينية. ط١. ١٩٨٤. ص ٥٨٠.

لم تكن سلواد البلدة الوحيدة في الضفة الغربية التي هاجر جزء من سكانها إلى حيفا. فمن القرى التي ارتبط اسمها بحيفا إبان الانتداب البريطاني. قرية برقة في محافظة نابلس. حيث تواجد جزء من سكانها في المدينة حتى عام ١٩٤٨. وقد أعطى كتاب سميح مسعود حيفا.. برقة البحث عن الجذور الصادر عن دار الرابطة للنشر عام ٢٠١٤. تفاصيل كثيرة عن حياة أهل برقة في حيفا. لكن مسعود عمل على تقديم رواية تسجيلية. ولم يكن من أهدافه إعداد دراسة تحليلية للوجود الريفي في حيفا.

تناولت بعض الدراسات الرصينة تاريخ المدينة المعاصر ومظاهر التطور الذي شهدته أواخر العهد العثماني وإبان فترة الانتداب البريطاني في المجالات المختلفة. ورصدت تدفق عدة آلاف من المهاجرين إليها بقصد الإقامة والعمل سواء من فلسطين أو سوريا ولبنان وغيرها. على سبيل المثال. انظر: يزبك. محمود. الهجرة العربية إلى حيفا. الناصرة. مكتبة القبس. ١٩٨٨. انظر أيضاً: منصور. جوني. المدينة الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني حيفا نموذجاً. رام الله. الرعاة للدراسات والنشر. ٢٠٠٩. وأيضاً: اغبارية. حسين. حيفا التاريخ والذاكرة. حيفا. جمعية التطوير الاجتماعي. ٢٠٠١.

لم تعد الأرض كافية لإعالة الأسر الفلسطينية الريفية إبان الانتداب البريطاني. فقد قدرت دراسة لسمير حليلة بأن العائلة الفلاحية الواحدة كانت تمتلك ٥٦ دونماً. منها خمس دونمات غير مزروعة. بينما قدر حجم الملكية الكافية لإعالة نفس العائلة بـ ٧٥ دونماً في حال أن هذه الأرض هي ملك الفلاح. و١٣٠ دونماً في حال أن يكون بالإيجار. وحسب حليلة فإن السياسة الاقتصادية البريطانية أدت إلى تمايز في الأجر بين العامل المأجور والفلاح لصالح الأول. الأمر الذي دفع الفلاح للبحث عن فرص عمل بعيداً عن أرضه. للمزيد من المعلومات حول الموضوع. انظر: حليلة سمير. تأثير سياسة الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني على ملكية الأرض في فلسطين ١٩٢٩-١٩٣٩. جامعة بيرزيت. مركز الوثائق والأبحاث. ١٩٨٦. ص ٣٤-٣٧.

سمير حليلة. مصدر سابق. ص ٣٧.

على سبيل المثال هاجر معظم الشباب في بلدة سلواد في النصف الأول من خمسينيات القرن الماضي إلى الكويت. كما وصل بعضهم إلى الأمريكيتين في الفترة نفسها.

مقابلة مع شحادة أبو نصار السبت ٢٠٠٢/١٢/٢٥.

مقابلة مع عبد الرحمن عبدالله أحمد حامد (شمروخ) السبت ٢٠٠٠/١٢/١٢.

مقابلة مع حسن مصطفى محمد فاسم الأربعاء ٢٠٠٢/١٢/١٢.

يبدو أنه قصد أن ثقافتهم وعاداتهم عربية وليسوا بالضرورة عرباً. إذ أنهم من اليهود الفلسطينيين.

محمد عبد الله أحمد شمروخ الأربعاء ٢٠٠٢/١٢/٢٦.

هنالك أسباب أخرى للسفر خارج البلدة منها العوز الاقتصادي وطموح الشباب لحياة أفضل والواقع السياسي وغيرها.

الهوامش

- ١ أجريت مقابلات مع عشرين شخصاً من بلدة سلواد عاشوا في حيفا في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي وكانوا حينها في سن يؤهلهم لإعطاء صورة عن واقع المدينة والحياة اليومية فيها. وذلك في الفترة ما بين أعوام ٢٠٠٠-٢٠١٤. وحصلت على عدد من الوثائق والمستندات الرسمية التي تخص نشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية مثل رخص عمل ووصول بيع و شراء وبطاقات عضوية ومحاضر اجتماعات لجمعيات أهلية انتموا إليها.
- ٢ صيقلي. مي. حيفا العربية ١٩١٨-١٩٣٩ (التطور الاجتماعي والاقتصادي). بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ١٩٩٧. ص ٦٥. هنالك أسباب أخرى للزيادة في عدد سكان حيفا منها النمو الطبيعي للسكان.
- ٣ تدل قائمة أسماء المدن والقرى الفلسطينية التي هاجر جزء من سكانها إلى حيفا إبان الانتداب البريطاني. كما أوردها محمود يزبك في الصفحة الأخيرة من كتابه حول الهجرة العربية إلى حيفا. تزد سلواد بين قرى محافظة رام الله والبيرة بوجود كثيف لسكانها في حيفا قبل عام ١٩٤٨.
- ٤ حول طرق وصول الريفيين السلوادة إلى حيفا. انظر: أدبية الملح. مصدر سابق. ص ٦٨.
- ٥ ويوجد إلى الآن حيفاويون من أصل سلوادى مقيمين في المدينة منذ ما قبل عام ١٩٤٨. للمزيد من المعلومات التفصيلية حول أسباب هجرة السلوادة إلى حيفا. انظر أدبية الملح. مصدر سابق. ص ٦٧-٦٨.
- ٦ أشارت الموسوعة الفلسطينية إلى أن عدد سكان سلواد

- ١٨ للمزيد من التفاصيل حول عمل الريفيات في السوق الحيفاوية. انظر: أدبية الخبز. مصدر سابق. ص ٧١.
- ١٩ لا بد من الأخذ بعين الاعتبار العدد الكبير لليهود في حيفا والذي تجاوز نصف إجمالي عدد السكان في نهاية ثلاثينيات القرن الماضي. وكان قسم كبير منهم ذا أصول أوروبية. وهذا شجّع على فتح المجال أمام الريفيات للعمل خادمت في البيوت.
- ٢٠ أغلب الريفيين من قابلتهم أكدوا هذه الفرضية. منهم: حسن مصطفى قاسم، محمد عبد الله أحمد، عبد الرحمن عبد الله أحمد.
- ٢١ أجريت عدد من المقابلات مع ريفيات عملن في حيفا سواء بائعات متجولات يبعن الخضار والخطب والمواد الغذائية أو في الغسيل والتنظيف في بيوت أثرياء حيفا. على سبيل المثال: مقابلة مع مريم عبد الله حسين ٢٠٠٧/٨، مقابلة مع عائشة عبد الله حسين ٢٠٠٧/١٩، مقابلة مع فاطمة أحمد عبد الجابر ٢٠٠٧/١٩.
- ٢٢ تأسست شعبة جماعة الإخوان المسلمين في بلدة سلواد عام ١٩٤٦، وكان لها مقر وشعار ووزع منتسبوها إلى أسراخلايا، وحسب وثائقها (اطلعت على ٣٥ وثيقة) فإن أغلب نشطاء الجماعة من السلادة كانوا في حيفا. وعقدوا اجتماعات دورية في أماكن سكناتهم ثم أرسلوا تقارير بنشاطاتهم إلى شعبتهم في سلواد. ومن الملاحظ أنه لم تربطهم علاقات تنظيمية بشعبة حيفا. وقد زار مقر الجماعة في البلدة القيادي الإخواني المصري سعيد رمضان، ونشر خبر الزيارة وتفصيلها في صحيفة الدفاع، الأحد ٥ صفر ١٣٦٦ الموافق ٢٩ كانون الأول ١٩٤٦ العدد ٣٥٤٨، ص ٣.
- ٢٣ طرح هذا الموضوع بمبادرة من أسرة إخوانية سلوادية (خلية إخوانية) تدعى أسرة الأمين. نشطت في صفوف السلادة في حيفا. وكانت تابعة لشعبة الإخوان في سلواد. ويظهر محضر اجتماع الأسرة الذي تم في حيفا في ١٣٦٥/٢٢٠ أن القضية أثرت أكثر من مرة. حيث أبدى الإخوان انزعاجهم الكبير من الموضوع. ورغبتهم الشديدة في القضاء على الظاهرة. على الأقل فيما يتعلق بأهالي سلواد.
- ٢٤ المصدر نفسه
- ٢٥ المصدر نفسه.
- ٢٦ مقابلة مع عائشة حسين الحاج سلمان السبب ٢٠٠٢/١٥، مقابلة مع أدبية أحمد محمد قاسم. السبب ٢٠٠٢/١٥.
- ٢٧ بدأ الصراع بين قيم المدينة والريف واضحا إبان الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩، حيث سيطرت قيم الأرياف على المجال الاجتماعي الفلسطيني. ظهر ذلك بوضوح في انتشار العديد من مظاهر الحياة الريفية بين الفلسطينيين في المدن مثل اللباس والأهازيج وغيرها.
- ٢٨ للمزيد من المعلومات حول النشاط الثقافي في حيفا إبان الانتداب البريطاني والمؤسسات الثقافية فيها. انظر: جوني منصور، مصدر سابق، ص ٦٤-٨٣.
- ٢٩ كانت حيفا تعج بالمقاهي والبارات والمراقص. إذ حوت حوالي ٣٧ مقهى وبارا ومرقصا ملوكة للعرب. إضافة إلى مقهيين تابعين لأجانب من مالطة واليونان وقدمت هذه المقاهي عروضاً فنية لفرق مسرحية وغنائية محلية وعربية» أغلبها لبنانية ومصرية». وعقدت في بعض صالاتها اجتماعات لجمعيات ومنتديات فلسطينية. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر: لبواب، حسن علي، موسوعة حيفا الكرملية حيفا وقضاؤها
- ١٧٥٠-١٩٤٨، عمان، دار المكتبة الوطنية، ٢٠٠٩، ج ٢، ص ٣٠١-٣٠٣.
- ٢٠ إحسان عباس (١٩٢٠-٢٠٠٣): أديب وناقد فلسطيني. ولد في عين غزال، درس في حيفا. نال شهادة في الدكتوراه في الأدب العربي. وله عدد من الأبحاث والدراسات الأدبية والشعرية المشهورة. ذكر تفاصيل تجربته في حيفا في كتابه غربة الراعي.
- ٢١ فتح الله السلوادي (١٩٢٣-٢٠٠٠) أزهري وشاعر فلسطيني. ولد في حيفا. درس في الرملة والقدس ورام الله. كان خطيباً للمسجد الأقصى. ومفتياً شرعياً لمحافظة رام الله والبيرة. كتب في الصحف الفلسطينية منذ أربعينيات القرن الماضي حتى وفاته. له عدد من الدواوين الشعرية. تعتبر استجابة الريفيين لجاذبية الفضاء الثقافي الواسع في حيفا محدودة جداً. كون أغلبهم من تعلقوا تعليماً متدنياً وعاشوا ظروفًا اقتصادية واجتماعية صعبة.
- ٢٢ لا بد من الانتباه هنا إلى أن المساجد غالباً ما تجاوز دورها الروحي لتشكل حواضن أولية للثقافة الإسلامية وللفكر الإسلامي بتجلياته المختلفة.
- ٢٤ عز الدين القسام (١٨٨٣-١٩٣٥): أزهري ومجاهد عربي. ولد في جبلة جنوب اللدقية، شارك في الثورة السورية ضد الفرنسيين. وصل حيفا في عشرينيات القرن الماضي. حيث عمل فيها مدرسا وإماماً ومأذوناً شرعياً. عمل على تأسيس حركة جهادية، هدفها مواجهة الاحتلال البريطاني بقوة السلاح. استشهد في أحراج بعبد بعد معركة مع البوليس البريطاني ودفن في حيفا.
- ٢٥ عبد الرحمن مراد (١٩١٨-١٩٩٥): أزهري فلسطيني ووجيه حيفاوي معروف. ولد في حيفا. عمل قاضياً في المحاكم الشرعية في سوريا وفلسطين. أصبح رئيساً للشعبة جماعة الإخوان المسلمين في حيفا. وأميناً للجنة القومية في المدينة. أصبح عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني. عاش في سوريا بعد النكبة واهتم بقضايا اللاجئين.
- ٢٦ محمد نمر الخطيب (١٩١٨-٢٠١٠): أزهري فلسطيني. من رجالات حيفا قبل النكبة. ولد في حيفا. عمل مدرسا في مدرسة البرج. أسس جمعية الاعتصام الإسلامية. وكان من أشرفوا على أعمال لجنة المقاطعة للبضائع الصهيونية. كما شارك في معارك الدفاع عن حيفا عام ١٩٤٨، وأصيب بعدة رصاصات. ترك العديد من المؤلفات في الدين والسياسة. توفي في السعودية.
- ٢٧ تأسست جمعية الاعتصام في ١٩٤٣/١١/١٩ على يد الشيخ محمد نمر الخطيب. انضم إليها عدد من شباب سلواد منهم محمد عبد العزيز أبو ريا، عبد الرزاق الداروية، سعد صالح، عبد الحميد أبو صالح شقاف، مصطفى أبو حلقين، محمود أبو حلقين، شريف المكحل، وكان جل اهتمامها رعاية الشؤون الدينية وتقديم الخدمات الاجتماعية. كان للجمعية عدد من الفروع منها فروع شفاعمو وطولكرم وسلواد. استخدمت الجمعية مقراً لتدريب عناصر من حامية حيفا إبان أحداث النكبة. وحسب بعض الروايات الشفهية فقد التحق بعض أعضاء هذه الجمعية بجماعة الإخوان المسلمين بعد ظهورها في حيفا في النصف الثاني من أربعينيات القرن الماضي.
- ٢٨ تأسست الجمعية عام ١٩٢٥. وعقدت مؤتمرها العمالي الأول عام ١٩٣٠، ناضلت الجمعية من أجل حقوق العمال. وقد شكلت العديد من النقابات وخاضت إضرابات

- عالمية من أجل تحسين ظروف العمل. وكانت الجمعية معترف بها رسمياً من الاتحاد الدولي للعمال. ومن أبرز نشاطاتها سامي طه الذي اغتيل عام ١٩٤٧.
- ٣٩ التحق عدد من الريفيين المقيمين في حيفا بجماعة الإخوان المسلمين. فشكّلوا أسراً إخوانية (كانت الخلايا التنظيمية الإخوانية تسمى أسراً) ونشطوا في فعاليتها. ومن تتبع الوثائق الإخوانية في بلدة سلواد مثلاً نجد أن عدداً من الخلايا الإخوانية السلوادية كانت نشيطة في حيفا في أربعينيات القرن الماضي. وللمزيد من التفاصيل حول نشاط جماعة الإخوان في حيفا. أنظر: Abdel-fattah, *Muhammad El-Awaisi, The Muslim Brothers and the Palestine Question 1928-1947*, London, Turis Academic Studies, 1998.
- ٤٠ حماد سبأغة، مصدر سابق. هنالك إجماع بين الريفيين على وقوع هذه الحادثة. لكن بعضهم ذكر اسم القسام بوصفه موجهاً للمجموعة التي قامت بتنفيذ الهجمات. وأرجح أن القسام لا علاقة له بالحادث. خصوصاً وأن أحد المنفذين للهجوم (داود أبو الشيخ سلمان) ذكر في مقابلة مع الباحث إبراهيم حامد في ١٩٩٦/١٢ أن محمد نمر الخطيب هو من أمرهم بتنفيذ الهجوم. كما أن القسام استشهد في وقت كان عدد الريفيين السلواد في حيفا ما زال قليلاً. ولم يكن انخراطهم في المجتمع الحيفاوي قوياً. ويمكن أن يربط البعض اسم القسام في الموضوع عائد إلى شهرته اللاحقة ووجود القسامي محمد عبد العزيز أبو ريا ضمن المجموعة المنفذة.
- ٤١ المصدر نفسه.
- ٤٢ تذكرنا هذه الحادثة بما كان يجري الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧، إذ نفذت هجمات بالزجاجات الحارقة على بعض المقاهي والأماكن التي كانت تمارس فيها بعض أشكال اللهو في المدن والقرى الفلسطينية والتي غالباً ما اعتبرت أوكاراً للرنزلة وللإسقاط وخارجة عن «الأعراف والأداب العامة» وقد نفذ أغلبها مجموعات تابعة لحركة فتح.
- ٤٣ أكد داود أبو الشيخ سلمان للباحث إبراهيم حامد أن هذه البارات كانت أوكاراً للحركة الصهيونية والبريطانيين. وقد كان هذا الأمر حاضراً أيضاً في اذهان غالبية من روى لي هذه الحادثة.
- ٤٤ وصف رشيد الحاج إبراهيم في مذكراته الشيخ محمد نمر الخطيب أنه كان وطنياً لكثته عاطفياً ومنفعلاً. أنظر: الخالدي، وليد، *الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين* مذكرات رشيد الحاج إبراهيم ١٩٩١-١٩٥٣، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ٢٠٠٥، ص٨٦.
- ٤٥ حول تفاصيل افتتاح النادي ونشاطاته انظر: فارس، عوني، محمد عبد المجيد الداروية أربعة عقود في صفوف اليسار الفلسطيني، *حوليات القدس*، العدد ١٤، خريف شتاء ٢٠١٢، ص ٨٠-٨١.
- ٤٦ للمزيد من المعلومات حول أماكن سكن الريفيين، انظر: أديبة الخالج، مصدر سابق، ص ٦٨.
- ٤٧ تظهر الروايات الشفوية جهل الريفيين بما كان يدور في أوساط النخبة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتقويعهم في وسط شعبي في الأحياء الفقيرة.
- ٤٨ تزوج عدد من السلواد المقيمين في حيفا من نساء من فلسطين ولبنان وسوريا.
- ٤٩ جاور سلواد ثلاث قرى مسيحية هي الطيبة وجفنا وبيرزيت.
- ٥٠ رصدت أكثر من حالة في سلواد لزواج من شيعيات. ولكنها أقل من ظاهرة الزواج من المسيحيات.
- ٥١ حسن مصطفى قاسم، مصدر سابق.
- ٥٢ حماد سبأغة، مصدر سابق.
- ٥٣ هنالك العديد من المصادر التي تناولت تفاصيل معارك الدفاع عن حيفا. فبالإضافة لمذكرات رشيد الحاج إبراهيم المذكورة أعلاه (ص٧-١١٤) وكتاب حسين اغبارية (ص ٨٠-١٤٠). انظر: الخطيب، محمد نمر، *أحداث النكبة أو نكبة فلسطين*، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ط٢، ١٩٦٧م. وانظر أيضاً: مراد، عبد الرحمن، *صفحات عن حيفا ومعركتها الأخيرة*، دمشق، دار الجليل، ١٩٩١. أمّا عن مشاركة الريفيين في الدفاع عن حيفا، فانظر: فارس، عوني، *الدفاع عن حيفا في ذاكرة عباس الحاج صالح* (١٩٢٨-٢٠٠٩) «حوليات القدس» العدد ١، صيف ٢٠١١.
- ٥٤ من بين ضحايا إحدى التفجيرات التي نفذتها الحركة الصهيونية في العام ١٩٢٨ ريفية سلوادية تدعى عزيزة حامد كانت تباع الخضار في سوق الجرنية. للمزيد من المعلومات حول استشهادها انظر: أديبة الخالج، مصدر سابق، ص٧٣-٧٤. ويجدر الإشارة هنا إلى أن العديد من قابلتهم أكدوا أن الدافع وراء مشاركتهم في الدفاع عن حيفا رؤيتهم للضحايا العرب الذين قتلوا في الهجمات الصهيونية.
- ٥٥ يروي الشيخ فتح الله السلواوي بإعجاب بعض مواقف الشيخ الخطيب إبان دراسة الأخير في الأزهر خصوصاً تلك المتعلقة بنشاطه النقابي والسياسي. حول علاقة الأزهرين السلوادية محمد نمر الخطيب في الأزهر الشريف. انظر: فارس، عوني، *الشيخ فتح الله السلواوي في رواق الشام ... ذكريات طالب أزهرى* (١٩٢٧-١٩٤٦)، *حوليات القدس*، العدد ١، شتاء ٢٠١١، ص ٣٤-٤٩.
- ٥٦ تأثر السلوادة قبل قدومهم إلى حيفا بالشيخ خليل السلواوي الذي كان صوفياً من أتباع الطريقة النقشبندية.
- ٥٧ ارتبطت سلواد بعلاقات وطيدة مع الحاج أمين الحسيني. فقد زارها أكثر من مرة. وقد نشرت صحيفة الدفاع ١٩٣٧/٦/٣ تفاصيل عن إحدى هذه الزيارات. ويوجد في مركز إحياء التراث في أبو ديس وثائق تتضمن بعض المراسلات بينه وبين أهل سلواد.
- ٥٨ رشيد الحاج إبراهيم (١٨٨٩-١٩٥٣): من شخصيات حيفا البارزة ومن قادة الحركة الوطنية فيها. تولى عدداً من المراكز والمهام، منها رئيس الغرفة التجارية في حيفا. مدير فرع البنك العربي في حيفا، مسؤول في حزب الاستقلال، رئيس اللجنة القومية في حيفا. ومذكراته من أهم الكتب المرجعية حول أحداث سقوط حيفا.
- ٥٩ للمزيد من التفاصيل حول انقسام عرب حيفا إلى تيارين غالباً ما كانا متعارضين في سياساتهما الدفاعية والتداعيات السلبية لذلك داخل حيفا. انظر: وليد الخالدي، مصدر سابق، ص ٨٢-٨٦.
- ٦٠ هنالك بعض المصادر التي وثقت فصلاً من مقاومة الريفيين في حيفا إبان الثورة الفلسطينية الكبرى وقبل أحداث عامي ١٩٤٧-١٩٤٨، مثل: ياسين، صبحي، *الثورة العربية الكبرى في فلسطين* ١٩٣٦-١٩٣٩، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧، ص ٥٥-٦٦. وانظر أيضاً: فارس، عوني، *سنوات الجمر والتحدي* ١٩٢٨-٢٠٠٩ *ذكريات المناضل عباس محمد حامد*، ط١، ٢٠١٢، ص ١١-١٣.
- ٦١ شهادة أبو نصار، مصدر سابق.

٧. فارس. عوني. سنوات الجمر والتحدي ١٩٢٨-٢٠٠٩ ذكريات المناضل عباس محمد حامد. ط١، ٢٠١٢.
٨. مراد. عبد الرحمن. صفحات عن حيفا ومعركتها الأخيرة. دمشق. دار الجليل. ١٩٩١.
٩. مسعود. سميح. حيفا. بركة البحث عن الجذور الصادر عن دار الرابطة للنشر عام ٢٠١٤.
١٠. منصور. جوني. المدينة الفلسطينية في فترة الانتداب البريطاني حيفا نموذجاً. رام الله. الرعاة للدراسات والنشر. ٢٠٠٩.
١١. الموسوعة الفلسطينية. المجلد الثاني (ج-ش). دمشق. هيئة الموسوعة الفلسطينية. ط١، ١٩٨٤.
١٢. ياسين. صبحي. الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦-١٩٣٩. القاهرة. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر. ١٩٦٧.
٣١. يزبك. محمود. الهجرة العربية إلى حيفا. الناصرة. مكتبة القبس. ١٩٨٨.

المجلات

١. فارس. عوني. أدبية الحلح حياة ريفيات فلسطينيات في حيفا ١٩٣٠-١٩٤٨. حوليات القدس العدد ١٠، شتاء ٢٠١٠.
٢. الدفعا عن حيفا في ذاكرة عباس الحاج صالح (١٩٢٨-٢٠٠٩). حوليات القدس. العدد ١١، صيف ٢٠١١.
٣. الشيوخ فتح الله السلواوي في رواق الشام ... ذكريات طالب أزهرى (١٩٣٧-١٩٤٦). حوليات القدس العدد ١٢، شتاء ٢٠١١.
٤. محمد عبد المجيد الداروية اربعة عقود في صفوف اليسار الفلسطيني. حوليات القدس. العدد ١٤، خريف شتاء ٢٠١٢.
٥. حوليات القدس العدد ١٢، شتاء ٢٠١١.

مقابلات

١. مقابلة مع أدبية أحمد محمد قاسم. السبت ٢٠٠٢/٦/١٥.
٢. مقابلة مع جاسر عبد المجيد لداروية. الجمعة ٢٠٠٠/٦/١١.
٣. مقابلة مع حسن مصطفى محمد قاسم الاربعاء ٢٠٠٢/٦/١٢.
٤. مقابلة مع حماد سياغة الاربعاء. ٢٠٠٢/٢/١٦.
٥. مقابلة مع شحادة أبو نصار السبت ٢٠٠٢/٦/٢٥.
٦. مقابلة مع عائشة عبد الله حسين الأحد ٢٠٠٢/٦/١٩.
٧. مقابلة مع عبد الرحمن عبدالله أحمد السبت ٢٠٠٠/٦/١٢.
٨. مقابلة مع فاطمة محمد عبد الغني. يوم الثلاثاء ٢٠٠٢/٦/١٨.
٩. مقابلة مع محمد عبد الله أحمد الاربعاء ٢٠٠٢/٦/٢٦.
١٠. مقابلة مع مريم عبد الله حسين الخميس ٢٠٠٠/٧/٦.

صحف

- صحيفة الدفاع
المصادر بالانجليزية
Abdel-fattah
Muhammad El-Awaisi, The Muslim Brothers and the Palestine
Question 1928-1947, London, Tuaris Academic Studies, 1998

٦٢. حول تأسيس حامية حيفا. انظر: الخالدي. وليد. الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين مذكرات رشيد الحاج ابراهيم ١٩٥٣-١٩٨١. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ٢٠٠٥. ص ٣٨. انظر ايضا: فارس. عوني «الدفاع عن حيفا في ذاكرة عباس الحاج صالح (١٩٢٨-٢٠٠٩)» مصدر سابق. ص ٤٩-٥٠.
٦٣. ذكر داود الشيخ سلمان في مقابلته مع الباحث ابراهيم حامد بعض التفاصيل عن علاقته بيونس نفاع. وأنه تناقش معه حول آليات مقاومة الوجود الصهيوني في حيفا مع اشتداد الهجمات الصهيونية عليها.
٦٤. تشير شهادات العديد من الريفيين أن محمد فخر الدين دربهم على السلاح في مقر جمعية الاعتصام.
٦٥. داود ابو الشيخ سلمان. مصدر سابق.
٦٦. مقابلة مع حماد سياغة. مصدر سابق.
٦٧. محمد عبد الله أحمد. مصدر سابق. تتطابق الرواية أعلاه مع عدد من الروايات منها حماد سياغة وكذا رواية عائشة حسين سلمان. وهي مطابقة لرواية داود ابو الشيخ سلمان الذي شارك شخصيا في الأحداث.
٦٨. حسن مصطفى محمد قاسم. مصدر سابق.
٦٩. وليد الخالدي. ص ٤١. يتشابه تاريخ بداية الأحداث المذكور أعلاه مع الروايات الشفوية التي أدلى بها الريفيون.
٧٠. المصدر نفسه. ص ٤٢.
٧١. المصدر نفسه. ص ٤١.
٧٢. هنالك شهادتان على عمليات بيع لحال خضار في منطقة الهادار قبيل الرحيل. واحدة أفاد بها شريف المحلل للباحث ابراهيم حامد في ١٩٩٩/١/٩. حيث قال إنه باع محله «أخذ خلوص» لتاجر يهودي بقيمة ٦٠٠ جنيه. والثانية لفاطمة محمد عبد الغني. قدمتها لي يوم الثلاثاء ٢٠٠٢/٦/١٨ حيث أشارت إلى أنّ زوجها تمكن من بيع محله لتجار حيفاويين قبيل رحيله عنها.
٧٣. مقابلة مع جاسر عبد المجيد لداروية. ٢٠٠٠/٦/٢.
٧٤. عن الأيام الأخيرة في حيفا ورحيل المقاتلين عنها. انظر: عوني فارس. الدفاع عن حيفا في ذاكرة عباس الحاج صالح ١٩٢٨-٢٠٠٩. مصدر سابق. ص ٥١. وانظر ايضا: عوني فارس. أدبية الحلح. مصدر سابق. ص ٧٤.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

١. اغبارية. حسين. حيفا التاريخ والذاكرة. حيفا. جمعية التطوير الاجتماعي. ٢٠٠١.
٢. البواب. حسن علي. موسوعة حيفا الكرملية حيفا وقضاؤها ١٩٥٠-١٩٤٨. عمان. دار المكتبة الوطنية. ج٢. ٢٠٠٩.
٣. حليلة سمير. تأثير سياسة الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني على ملكية الأرض في فلسطين ١٩٢٩-١٩٣٩. جامعة بيرزيت. مركز الوثائق والابحاث. ١٩٨٦.
٤. الخالدي. وليد. الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين مذكرات رشيد الحاج ابراهيم ١٩٥٣-١٩٨١. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ط١، ٢٠٠٥.
٥. الخطيب. محمد نمر. أحداث النكبة أو نكبة فلسطين. بيروت. منشورات دار مكتبة الحياة. ط٢، ١٩٦٧.
٦. صيقل مي. حيفا العربية ١٩١٨-١٩٣٩ (التطور الاجتماعي والاقتصادي). بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ١٩٩٧.